لباب البيان في مقاصد القرآن

((مدخل كشفي بالحواميم للسّبع الطّوال))

أ.م.د. مشكور كاظم العوّادي
كلية الآداب - جامعة الكوفة.

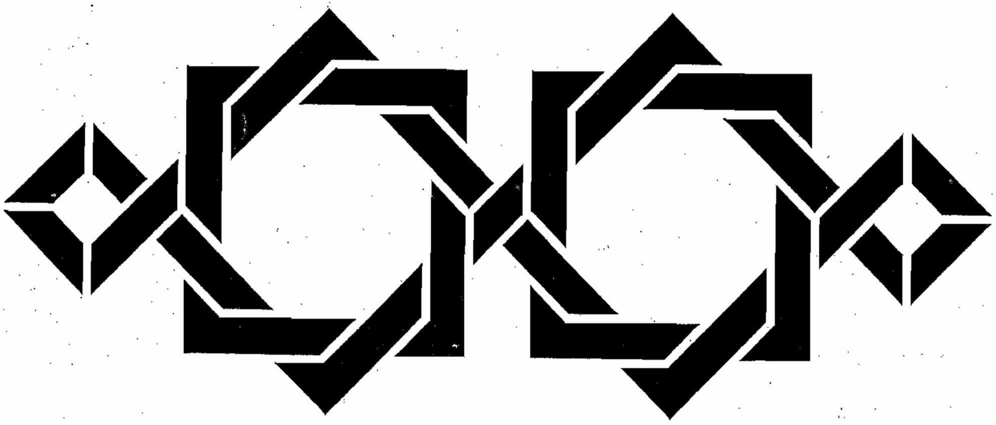

المقدّمة :

إنّ المقاصد القرآنية والأهداف السماوية مقننة محدّدة معدودة، أهمّها: إثبات عقيدة التوحيد واستيفاء محاور العقيدة في الوحي والنبوة والمعاد الأخروي، وقد عضدّت هذه المقاصد بالقصّ والاعتبار وإيراد الآيات العلمية والكونية وغيرها، ولكن مما يلفت التنبه إلى أن هذه المقاصد المقننة توجيهاً المحدّدة مساحة تستعرض من خلال القرآن بأنماط متعددة، ومختلفة من الصيغ والأساليب والنظم، ما بين مبسوط ومجمل أو مرسل وموجز أو مبين ومبهم... الخ، وعندها نجد أنّ هناك عرضاً معنوياً موجزاً وبمقابله استعراضات أسلوبية وبيانية، فالمعروض قليل العدد والاستعراضات كثيرة، ومن ذلك ننتخب معرضاً مكثفاً لها ليجمع تنوعيّة العروض ويركزها فقط على الغايات القصدية الأساسية..

وعلى هذا انتخبنا الحواميم لأنها لباب مركّز لهذه الإيرادات السماوية لكونها أنموذجاً كاشفاً ونسقاً قابلاً للتطبيق على كل نصوص القرآن بشرط أن يكون النّص المطبّق عليه محتفظاً بوحدته النظمية والسياقية كأن تكون السبع الطوال أو المئين أو الطواسيم أو غيرها، وهذا التحفظ هو عنواني أي تجمعها عنوانات معينة تجعلها قابلة للاستثمار الكشفي وعندها تلتزم الحواميم – كما سنرى – في استشراف وإبانة مقاصد السور والآيات الأخرى، لكونها أداة فعالة للتفسير أو التأويل على وفق منظومة توجيه الكشف في هذا الباب، فهي وحدة مقطعية في القرآن تمتد على مساحة سبع سور متلاحقة لا فصل بينها مكونة في المقابل وحدة معنوية تفسيرية قابلة للدخول في مهمة الكشف في عموم القرآن، لأنها من مبتداها حتى منتهاها منتخبة لتكون كاشفاً لبابياً على النظم المعجز لا سيما في تركّيزهاالعقائدي فهي نبذة مختصرة من العقيدة المتكاملة في أم الكتاب كما أنها خلاصة المعاني التوحيدية واللباب المخبأ في حكمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ذلك أنها وثيقة الصلة بالذات النبوية من دون غيرها، بدليل افتتاحاتها الخطابية الموجهة حبيّاً إليه صلى الله عليه وآله وسلم على نحو خاص ومنه إلى أمته.، أما السبع الطوال _وهي المكشوفة في محاولة البحث_فهي تشترك مع الحواميم في وحدة العدد (سبعة) ومنه يحصل الترابط الامتدادي في هذه وتلك وانتظام كلا المقطعين في وحدة الهدف لكونهما من النظام القرآني في حين أنّ هذه الطّوال قد عرضت المقاصد بأساليب متعددة من الإبانة والإبلاغ على شكل نثار قد يشت معها الفكر... ولكن بتسليط كاشف الحواميم عليها يتم تصريف هذه المواد في عارضه واحدة لأجل أن تكون عندها رؤية واحدة تكفي لاستجلاء المحصول، وهذه من أدوات الاستنباط المعنوي للقرآن.

ومن هنا فإنّ كل الأنساق القرآنية ممكنة أن يقع عليها الانتخاب أو الاختيار في الكشف والإبانة – وإن تفاوتت نسبها من اللباب – لأنها قطعة من النظم القرآني الذي تشابهت مقاصده المهمة في التوحيد والنبوة والمعاد، وهذه كلّها موجودة في القرآن بما ييّسر أن يفسّر بعضه بعضاً ويكشف بعضه عن بعض .

ويبدو أنّ حصر هذا اللباب في حزمه الحواميم السباعية متّسق بحسبان قواسمها المشتركة نصّياً وبيانياً، إذ يقف في مقدمها استشراف مجاورات فواتحها المقطّعة وذلك باستلال مناسبات سورها ومشتركاتها وعلائقها لاستخراج النظائر البيانية والنظام العام المشترك لها.

ولمّا كان البيان المقطعي كمونياً لا يمكن دركه إلاّ حين يأتي تأويله وذلك بنصّ القرآن، فهو أصدق دليل على استمرار الوحي في جريانه وسريانه عبر العصور والدّهور عبر القرآن، وهذا يعطي امتداداً

شمولياً لمعجزة المصطفى صلى الله عليه و آله وسلم خارج حقبة حياته ووجوده كما أنهّ يستوسق مع عنوان المعجزة الخالدة.

وبعدُ: فإنّ الأجدى لاستخراج اللباب من فحوى القرآن هو عن طريق التبصّر والتدبّر في صوره البيانية و معانيه الإعجازية ، لأنّ الثوابت الإيمانية في رسالة رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم راسخة فيها موروثة جيلاً بعد جيل وقد حفظها القرآن بين دفتيه وتناقلها العالم الاسلامي بإخلاص وأمانة عبر الأجيال.....

والحمد لله ربّ العالمين.....

التمهيد: (الكاشف القرآني) :

هو أداة توضيح وبيان للقرآن بالقرآن درءاً لمواقف التفسير بالرأي والهوى، ومهمّته تفسيرية بيانية تقوم بإظهار سمات النصّ المحدّد أي أنها تقتصر على عملية استكمال تحليلي لمعطيات النص القرآني ومداخلاته المسايرة له وليس من باب كشف ما كان مجهولاً، ((لأنّ القرآن يشتمل على أنواع من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد والقصص والمواعظ وما إلى ذلك من الأنواع التي يشتمل عليها وتتكرر في كل سورة من سوره.... وبهذا تشابهت سوره في أغراضها ومقاصدها كما تشابهت أوامره ونواهيه وما إليها ممّا اشتمل عليه.))(١)

وإطلاق لفظ الكاشف بلحاظ كونه اسم فاعل تتوافر فيه الأسس العامة لاستشراف النص وتبيانه في الإطار الأسلوبي والبلاغي..، أمّا النص المكشوف فهو بلحاظ اسم المفعول أي من تسلط عليه الكاشف فأبانه وبسطه لتلقي سواطع الأنوار الكشفية تفسيراً وتحليلاً وتفكيكاً وتأويلاً(٢) وهذه عين عملية الاستنباط القصدي من النص القرآني، فذلك كشف تحريكي بعد أن كان النص ساكناً في ثياب اللغة ومستقراً في مبانيها وهذا هو عين التدبّر والتبصّر.

ولمّا كان الكاشف إبانة نورية فهو كذلك في كلّ القرآن لوظيفته التحريكية والتصريفيّة للنصّ، لأنّ الألفاظ لا تعطي كامل ثروتها إلاّ عند تحريكها، والتّحريك أو التّصريف تابع لقاطرة الكشف في توجهها ومسيرتها كما سنرى.

من هنا يصلح هذا الكاشف للخدمة في ثنايا التفسير القرآني العام، لأنّه من المعابر الداخلية للقرآن، بيد أنّ انتقائية إخراجه واختياره لا تكون لكّل من هبّ ودبّ، فهو ليس من العبث بل الانضباط فيه متسق بعناصر الاختيار ومواقع الاختبار، بدليل أنّ ((الله سبحانه وتعالى دعا الناس إلى التدبّر في آيات القرآن لكي يتّضح وجود عدم الاختلاف فيه بضمّ الآيات بعضها إلى البعض الآخر)).(٣)

ولمّا كان صالحاً في أيّ نسق قرآني فإنّ تخصيصه العنواني يأخذ أبعاداً أخر، وهي على نوعين: ما تخصّ الباحث، وما تخصّ الكاشف فما يخصّ الباحث تكون ذاتية تابعة لغاياته ومقاصده، وما تخصّ الكاشف تكون موضوعية وهي ما تفرضه وحدة الموضوع على البحث من ارتسامات وضوابط، فاختيارنا لعنوان (الحواميم) كاشفاً لبابياً في هذا البحث يجعلنا تحت طائلة هذه الأبعاد بشقيها الذاتي والموضوعي.

وإنّ الذي يميّز هذا الكاشف النسقي أنّه متحقّظ بسياقاته الكاشفة لمدلولات أومداليل معينة ومستلّة من خلال النّسق نفسه، وهو يوميء إلى عدّة عناصر تتمثل: أولاً في: الاقتطاع الجزئي من نظم القرآن وهذا الاقتطاع هو النّسق، وثانياً: الحركة المدروسة ذات اليمين وذات الشمال على وفق ضوابط تحدّد مسار أو منهج البحث تسليطاً لكشافية تلك القطعة على ما جاورها، وثالثاً: تجميع المحصلة البحثية واستلالها من خلال النقطتين المذكورتين.

وهذه كلها تؤكد وحدة النظام الاعجازي المترابطة من المباديء المنتهية في المقاصد ...وعندها فالنظام والمقاصد في الحواميم _كما سنرى_أشدّ ظهوراً وبياناً من السّبع الطوال ممّا أعطاها الصلاحية العالية للاستعمال في الاستنباط القصدي كاشفة عنها من مظانها...

وبما أنّ الإعجاز القرآني قد جاء متنوّعاً لذا تعدّدت من ذلك التنوع أنماط هذه الكواشف انعكاساً فنلحظ منها: التربوي كما في قصة يوسف عليه السلام ومنها: الاخلاقي وهو مبثوث في عموم القرآن حكماً ومواعظ (كمقطوعة لقمان مع ابنه) ومنها: العقدي، وهو الجلّ الأغلب كما في سوره البقرة وهي عالية المباني كبقية سور القرآن لا سيما في سيرة بني أسرائيل التي تستحوذ على معظم السورة.... وغيرها... ومنها: العلمي: الذي يعتمد على الطريقة الاستنتاجية المتبعة في سائر العلوم الطبيعية والانسانية وعنده يتحقق الرّبط أو الإحالة العلمية: ((على سبيل المثال) بين الآية (الدال) والظاهرة الكونية (المدلول) بحسبان أنّ القرآن خزين فياض لا محدودية لمدده العلمي.(٤)

ومن المهم في هذا الباب أنّ نجد المفاضلة في كشف السور اللبابية بلحاظ ومضات السنة الشريفة لها أيضاً عبَر أحاديث النبي الأكرم وصحابتهِ وأهل بيته الطاهرين، وهم أدرى، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((فاتحة الكتاب أفضل القرآن)) وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((يس قلب القرآن))(٥)* .. وغيرها....إذ انّ هذه بلحاظ الوظيفة التكوينية المرافقة للنّكتة التّدوينية، في ضوء تلازم لا يطلّع عليه إلّا راسخ أو معصوم أو ممّن له تماسّ معه...

ففاتحة الكتاب هي مستهل الكتاب، والمستهل إشارة إلى محتويات ذلك الكتاب، إذ تتمثل لبابيتها في اختصار معظم مضمونات الكتاب على نحو محكم ودقيق بلحاظ أنّ كل مافي الكتاب موجود في الفاتحة. هذا ما يعطي أفضيلتها لأنّ فيها((من الصفات ما ليس لغيرها حتى قيل: إن جميع القرآن فيها وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن، ومن شرفها أن الله سبحانه قسّمها بينه وبين عبده ولا تصحّ القربة إلّا بها ولا يلحق عمل بثوابها وبهذا صارت أم القرآن العظيم..))(٦).

وينطبق القول كذلك على (يس قلب القرآن) وآية الكرسي(سيدة أي القرآن) وسورة التوحيد(ثلث القرآن)وغيرها من الآيات والسّور التي انضوت تحت هذه الميزة اللبابية في الكشف القرآني إذ انّ الجامع هو الأصول المعنوية المتجدّدة والمتصرّفة لجماع المقاصد والمطالب ودوران بقيّة الموضوعات حولها.

ومن هنا نجد أنّ تنوع الكواشف من تنوّع المواقع فالفاتحة أو يس سورة وهي مقطع في حين أنّ الكرسي آيات وهي مقطع أيضاً، وعندها تؤخذ بنظر الاعتبار ناحية الاتصال والانفصال لما لها من أثر فعال في كشف النظم وإبانة التناسب، فمقطع الكرسي في الجزء الأول يختلف عن مقطع الفلق (مثلا) في الجزء الثلاثين، وهذا ما ينعكس في تنوّع كاشفية كلا المقطعين اطّراداً. ومن هذا الملحظ تكون السّورة المقطعية متسوّرة بلحاظ تماميتها، في حين تكون الآيات المقطعيّة (وهي المقتطعة من السورة) مفتقرة إلى ذلك السّور ولكن لها تحفظها الكشافي المتعينّ بها.

ونخلص مما تقدم أنّ الكاشف القرآني يخضع في كل أنماطه إلى نظرية البيان القرآني وهي ذات مدى أبعد وتصور أعلى من البيان الاعتيادي وذلك لوجود التبادل القصدي الكشفي بين سُورهِ وآياته، ذلك أنّه ((يداور المعاني، ويريغ الأساليب ويخاطب الروح بمنطقها من ألوان الكلام لا من حروفه، وهو يتألف الناس بهذه الخصوصية فيه حتّى ينتهي بهم ممّا يفهمون إلى ما يجب أن يفهموا و حتى يقف بهم على نصّ اليقين ومقطع الحق...))(٧)، وعندها يكون التكاشف بمثابة تسليط الأضواء الكشفية المتساقطة بعضها على بعض داخل الكتاب الإعجازي.

١. (الحواميم: اللّباب الكاشف):

تسميتها وانتخابها:

تطلق الحواميم على السور المكية السبع التي بدأت بـ (حم) وهي: غافر (خمس وثمانون آية)، وفصّلت (أربع وخمسون آية)، والشّورى (ثلاث وخمسون آية)، والزخرف (تسع وثمانون آية) والدخان (تسع وخمسون آية)، والجاثية (سبع وثلاثون آية) والأحقاف (خمس وثلاثون آية).

وعن العجائب للكرماني، قال السيوطي.

((إنما سميت السور السبع (حم) على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التّشاكل الذي اختصّت به وهو أنّ كلّ واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تفاوت المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام))(٨). وهو بذلك يعني :النظام البلاغي والتّرصيف الإعجازي) وقد نزلت هذه السور في بدء الدعوة الإسلامية التي كانت في حاجة إليها لكي تصك الأسماع بما يبهر الأنفاس وما يسكت الأصوات بالوقع الشديد...... من هنا جاءت بالإيقاع السريع والجرس العنيف الذي يعلن بدء المعركة الإعجازية مع كفار قريش... وهذا ما كانت له السّور المفتتحة بالحروف المقطعة فإنّ كثيراً منها ــ كما يقول الباقلاني.. ((إذا تأملته فهو من أوّله إلى آخره مبني على لزوم حجّة القرآن والتنبيه على وجه معجزته))(٩). ويؤكد هذا القول أنّ هذه السور مبنية على لزوم التنزيل ومنبّهة على استلهام الثمار الإعجازية لا سيما وأنّها متشابهة استهلالاً فإنّ ذلك له مشتركات معنوية ومناسبات سياقية أي أنّ التّشابه البوابي يستلزم ــ بلا أدنى شك ــ جانباً مهماً من الاشتراك النّصي.

فالحواميم منطقة حركيّة شديدة بلحاظ احتوائها على المقاصد المهمة للقرآن في آياتها العقائدية والتربوية والكونية، إذ أنّ هذه هي جماع النكتة الحركية ولباب التّسرّي النوراني الذي يشترك مع الإعجاز في كونه دبيب الروح الجاري في القرآن.

ولمّا كانت هذه السور من السّور المفتتحة بالحروف المقطعة، وهي حروف غير معنوية فهي تفترق عن بقية سياقات السور بتفردّها في المعنى الكامن أو البيان المكمّن..ذلك أنّ حجّة القرآن في هذا الصّدد على أنّه المعجز الداعم والمشرع لها تعتمد في أحد عناصرها على هذا الحرف المقطع بحساب أنه ولو كان قائماً بمفرده ولكنه نجح في تبكيت المتحدّين في الاعجاز طوراً وحده وطوراً بالاقتران مع سياقه فلم يتم اسقاطه من النصّ ولا أمكن الاستهزاء بوجوده.

أمّا التّنبّه على وجه معجزته فإنّ معجزة القرآن تعتمد على المقطّع وعلى غيره ولكنّ الأول يحتفظ بنمطية من الباب المغلق تفسيراً لا تأويلاً لأنّه يكشف عنه في مرحلة البيان التأويلي لذا فهو يسهم في رفد الآليّة الإعجازيّة بالتأويل المستقبلي.

قال ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

((إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات أتأنّق فيهن))(١٠).

والمعنى: جنات محسّنة، فالحواميم للمؤمن كالجنات يرتع بين غياضها وخمائلها بتأنّق أي: يتجّول متدبّراً في معانيها متفكّراً في مراميها، ولمّا كانت هذه الحواميم هي أساس التّصريف الحركي السائر فإنّ لمحاتها الجمالية ولمساتها الحكمية منطلقة من كونها لبّاً جوهرياً، وخطاباً حبيّاً، إذ إنّ هذه المنظومة أو الحزمة السباعية وثيقة الصلة بالذات المحمدية والدليل أنّها الحكمة المحمدية أو الحب المحمدي.

وقد قال إبن عباس: رضي الله عنه فيها: ((لكلّ شيء لباب ولباب القرآن الحواميم))(١١).

فاللّباب هو النكتة المركزية أو المحورية أو الجامع لما تفرّق في القرآن نجده في هذه الحواميم أي أنّها جماع مقاصد القرآن ولمّ شتات مضموناته...

أمّا تسميتها باللّباب فذلك لا نحصارها ضمن ضوابط الرسول والرسالة وهذا ما يعطيها المائزة القلبيّة من الدّعوة واللبابية من التّشريع وهي بينهما تتألق مصباحاً داخل القرآن.

اللّباب إذاً هو الأمر المركزي من كلّ شيء وفي القرآن هو القلب النابض ومنبع التّصريف باتجاه استبيان مقاصد النص..

ولمّا كانت المركزية هي مدار الشيء، وفي الحواميم هذا المدار هو التّوحيد وأصول العقيدة بتوجيه محمدي مباشر، فهنا التخصيص العقائدي على يد الرسول على أوضح ما يكون وأتم ما يكون.... ومن هنا فاللباب هو مركزية القرآن بلحاظ أن المسكن المحمدي ها هنا.

أمّا العلاقة الثلاثية بين الحواميم واللّباب والتّصريف فهي تواصلية بمعنى أنّ التّصريف هو الجسر الموصل من مدخل الحواميم الى سرّ اللّباب وهو قلب الحواميم الخفي أو الباطن..، والدليل على لبابيتها أنّها تمثل جماع المعارف الالهية والأصول العقائدية والظواهر الكونية(المكنونة)بوحدة الجريان.

ولمّا كان اللباب هو مركزية المعرفة وتجمع العلوم حول نقطة قرآنية معينة فقد انتخبنا مجموعة (الحواميم) مرتكزاً استقطابياً يصلح أن يكون نقطة تفسيرية وتوجيهيّة كاشفة لعلوم القرآن إن تأويلاً أو تفسيراً وهذا من مستخلصات تفسير القرآن بالقرآن ولكن بنهج محّور وطريقة مستحدثة ومتوائمة ومعطيات هذا العصر...

وعليه فهذا الارتباط من حيث إن الحواميم ذات خصيصة لبابية محتفظة بمركزية قرآنيّة نسقيّة، إذ يبيّن عنصر الارتباط هنا احقيّتها بالنسبة للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبملحظ هذه النسبة يكتسب الكاشف (وهو الحواميم) استقطاباً لبابياً يتشابه مع استقطاب المؤمنين حول الذات المحمدية أو كما نعبر كالقطب بالنسبة للرحى، من هنا جاء تفرّدها بالجاذبة المحمدية واختصاصه بها وقد تكون هذه الحواميم الخلاصة المكثّفة للقرآن بل هي قلب القرآن لأنّها قلب محمد و(حم) هي حروف القلب من اللّباب الذي هو القلب المحمدي، بمعنى أنّها اسمه بعد قطع الرأس والذنب (الأول والآخر من حروف اسمه) والله أعلم.

نزولها وترتيبها:

تعدّ الحواميم من عناصر الإعجاز الرئيسة بدليل أنها سبع سور متسلسلة مُتَعاضدة في النزول (٦٠ــ ٦٦) والترتيب (٤٠ــ ٤٦) وهي تشكل مقطعاً قرآنياً موحّداً تحت عنوان (حم)، وهذا الاتفاق تحت الحرفين له خصائصه وسماته عن بقية المقاطع القرآنية، ذلك أنه يشترك بعناصر مهمة في استعراض الأصول العقائدية والمواعظ الآلهية والتربية الأخلاقية، إذ يمكن أن يدل هذا التتالي على نمطيّة التدريس الالهي للانسان في هذه العقائد المتصلة، وعندها فالتوحيد هو رأس الأصول كلها ثم تتبعه البقية بتبعيّة الفروع للأصول فضلاً عن التقارب في طول السّور، فهن متوسطات بين الطول والقصر.

وتستمد بلاغة هذه الحواميم ممّا حولها في استجلاء مظاهر العقيدة والتّوحيد والقص النبوي علاوة على الأمثال والحكمة.. فهذه المضمونات مجموعة في آصره بلاغية موجهة توجيهاً واحداً بلحاظ أنها خاضعة لجامعة (حم) الموحدة لها في زمرة الحواميم السباعية....

يقول السيوطي: ((وروينا عن جابر بن زيد وابن عباس في ترتيب نزول السور: أنّ الحواميم نزلت عقب الزمر وأنها نزلت متتاليات كترتيبها في المصحف: المؤمن ثم السجدة ثم الشورى ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الأحقاف، ولم يتخللها نزول غيرها، وتلك مناسبة جليلة في وضعها هكذا)).(١٢).

فقوله: (وتلك مناسبة جليلة في وضعها هكذا) يشير إلى المقتضى البياني للحكمة الالهية وهي تتطلب جريان السّرد في القرآن على وفق الإيجاز والإسهاب أو الاتصال والانفصال كلّ بحسب مطلبه وموقعه السياقي الصحيح..

فتلاحقها أمر مفروغ منه في التنزيل والترتيب، وهذا لا يتأتّى إلاّ لسبب قد يخفى وقد يبين بالعنوان الثاني أو الرديف الذي يمكن احتماله من جانبين:

الأوّل: إنّ هذه السور منضبطة بنسق واحد تنزيلاً وتدوّيناً.

والثاني: إنّ محتوى هذه السور يتضمن مشتركات أوجبت انضمامها بالحزمة الواحدة، وهذه المشتركات كما تقدم هي في التّوحيد والعقائد، والمواعظ والكونيات، وكأنها سورة واحدة...
أمّا مناسبتها فقد تكون أطوالها المستوسقة مع بعضها بما يشكل جميعها بمثابة أطول سورة في القرآن، وهذا يدلل على أنّ تناسبها من هذا الجانب أيضاً من مشتركاتها المتّفقة...
وهذا من الأدلّة المعضدّة التي تؤكّد أنّ هذه السور ذات خصوصيةمتميزة في ظهورها وتجددّها ومعانيها، فالنسق النزولي متحقّظ بثبوته كما هو النسّق المصحفي (التّدويني) لأنهما قد صينا في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأحيطا بالعناية الكافية بعده، ولمّا كان المحور المشترك في افتتاح السورة وختامها هو سمة عامة في جميع سور القرآن فإنّ علاقة فواتح الحواميم بخواتيمها أصل هذا الباب الذي هو معرفة ((حركة المعنى داخل السورة ومراقبة نموه و امتداده...))(١٣).
فمثلاً ((أنّ البحث في سورة ((حم الشّورى)) ابتدأ بالوحي وانتهى بالمحادثة حوله، وفي سورة الجاثية يبتدىء الحديث حول التوحيد الربوبي وينتهي بالكلام حوله... وفي سورة الأحقاف يبدأ البحث عن المعاد ويختتم به... وهذا لا يعني أنّ لكلّ سورة موضوعاً خاصّاً بل إنّ المقصود بذلك إنّ جميع هذه السور المذكورة وإن كانت تنطوي على المعارف الدينية العامة إلاّ أنّ ما تبرز وتتميز فيه مختلف ومتفاوت أي: بغض النظر عن المضمون المشترك الذي تمتاز به هذه السور السّبع، فإنّ لكل منها خصيصة تكون سبباً لتمايزها فيما بينها))(١٤).
بمعنى أن العنونة الحركية للسّورة (حم) تسهم في توجيه بوابي للسورة باتجاه مصبّها النهائي وعندها تكون هذه الحركية ذات أثر مهمّ وبارز في نمط نوعية العرض داخل السّورة مع التحفظ بالمشتركات الأساسية لها... أو بمعنى آخر: إنّ كل الاشتركات في هذه الحواميم هي بحساب المعاني التي جاءت بعد حروفها المقطعة لا بلحاظ النصوص، فمثلاً: يعرض التوحيد في إحدى الحواميم على نحو أو أسلوب يختلف عن الأخرى ولكن تحمل كلتاهما مبدأ التوحيد الأزلي فارداً وواحداً من حيث المعنى والمضمون، وهكذا في بقية المفهومات.
هذا من الاطار العام أمّا من حيث البدء والختام: تناسباً وتتابعاً وإبانة نقول: إنّ هذه الحواميم هي حصن الهي سرّي مطوّق بسور (حم) وهو المدخل الحقيقي لها وليس التدويني وهو للراسخين فقط، أمّا من يدخلها على الحرفيّة (كحرفين) فيدخلها بالسياق اللغوي الاعتيادي بعد استلاب النّكتة البيانية منها إذ تصبح مجرد جسر حرفي يقرأ تعبداً لا تفهماً ثم ينحدر السّيل القرآني على سياقات معنوية مفهومة لا تتنافرمع المدخل المبهم وعندها نجد أنّ للحواميم مدخلين: سرّي أو باطن (وهو ما توافق ورمزيّة الحرف وغيبيتهِ) وعلني أو ظاهر: (وهو ما أخذ فيه الحرف مدلولاً أو شاخصاً حرفياً فقط....).
بينونة شاسعة إذاً بين الجزء أوالمدخل (حم) البوابي الغيبي وبين الجزء أو المدخل المعنوي البياني المشهود لحواسنا.... ولكنّ المهمّ في هذه السور أنّها اقترنت بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه الوحيد المتمكن بحكمته المعجزة على إيلاج جناحيه لآستلهام معاني المنطقتين (الملك الملكوت)، فبثّ الأولى لأمتهِ واحتفظ بالثّانية سرّاً لخلفائه والأئمة من بعده....

مضمونها وفحواها:

تتناول هذه السور كبقية السور المكّية قضية العقيدة بمحاورها المهمّة من التّوحيد والنبوة والوحي بالرسالة والبعث والجزاء وما يعضدّها من الآيات الكونية ومشاهد القيامة والسرد القصصي وغيرها..(١٥).

ولمّا كان العلم الالهي هو لبّ القرآن فقد أصبحت هذه السور هي اللّباب لأنها تمثل العلم بمستوياته كافّة ذلك العلم الكامن في آيات التّوحيد والتّنزيه والتّقديس والتربيب الالهي، والمكنون في الأسرار الفلكية والظواهر الكونية، إذ إنّ هذه الأسرار والظواهر أوقع أثراً من السّرد القصصي الموجود في الطواسيم مثلاً من حيث التّلبيب والتّركيز لأنّها من الحواميم التي هي عصارة العلوم القرآنية وزبدة الفهوم الإيمانية....

تبدأ هذه السور بسورة غافر إذ يشير العنوان إلى النكهة الرحمانية وسحائب الطمأنينة المكتنفة للناس جميعاً، وتنتهي بسورة الأحقاف وهي منطقة قوم هود المسحوقين بالعذاب الشديد...

فهذه الحزمة إذاً بدأت بالمغفرة والتوبة وتكاملت بالنقمة والعذاب، لأنّ المغفرة لا تعرف إلاّ بمضادها كما أنّ ماهيّة اللّيل لا تعرف إلاّ بورود النهار، مصداقاً لذلك التبيان على وفق قانون كوني ثابت.

ولمّا كان الموحي قادراً على كلّ شيء فهو ينزل الكتاب ويخلق السّماوات والأرض ويفعل ما يريد، وعندها فالوحي متّصل بالمفاتح وهذه ملزومة للثابت الإعجازي بلحاظ مدافعة المعاندين ومصادّة المناجزين في أمر الله ومشيئته...

كما أنّ ثابت الإعجاز ينطوي على الوحي بدليل أنهّما متلازمان لا ينفكّان تاريخيّاً إذ هما كانا واحداً أوجدا كتاباً مصحفياً مقدّساً...، أي أنّ الوحي مؤسّس للنص القرآني وهكذا ينطوي المبدأ في النتيجة والنتيجة في المبدأ أي (الوحي يتبلور في الإعجاز والإعجاز في الوحي).

وقد قلنا إنّ الحواميم هي لباب القرآن وخالصته مصداقاً حيّاً يومىء إلى هذا المعنى لأنّها في مجملها توكيد وقسم وهذا ما أفاضت به فواتحها: توكيد على سماوية الرسالة والوحي المحمدي، وقسم بالكتاب الذي أبان طريق الهدى من طرق الضّلالة والقسم بها مع النظر أنّ الله لا يقسم إلاّ بشيء عظيم هو ذو شأن وجودي عظيم وإرتكاز تدويني رفيع، وذلك إجلالاً وتذكيراً لتدبّر الكتاب والعمل بهديه وشرائعه..، وعندها نلحظ أنّ وحدة النسق ووحدة التوجه في هذه السور متفقتان نحو مقاصد معينة يمكن استلماحها بالعلقة الخاصّة بين الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم صلّى الله عليه وآله وسلم، تلك العلقة المحكمة والشّديدة الصلة بالمسار المحمدي في بثّ الدّعوة الاسلامية ومن هنا تصلح أن تكون المنظّر الداخلي للقرآن بإشراف محمدي مباشر....

فالحواميم إذاً نسق قرآني متحقّق بخصوصيّة ثابتة بمدلول افتتاحه العنواني الواحد وهو المقطّع (حم) واشتقاقاً من هذا التّوحّد المتتابع بملحظ الإشارة الدلالية والفحوى السياقي نستنتج أنّ الاشتراك التخصصي هو بهذه الحزمة المباركة إذ يأتي الحديث تارة ((عن توحيد الله سبحانه بصفته أهم ما أتى به الوحي وتارة يرد الحديث عن المعاد وتارة عن ضرورة النبوّة والرسالة ثمّ يستعرض قبول أو نكول الناس إذ إنّ موقف الناس إزاء هذه المسائل ليس واحداً))(١٦). وعندها نستشف المعاني المشتركة الناتجة من الاشتراك العنواني أو السياق الجواري، وصولاً إلى أهم تلك الخصائص المشتركة بالدليل البرهاني والوجداني على السّواء وهي الحركة التصويرية أو الآستعراض المستمر للآية عقائدية كانت أو تربويّة أو كونيّة أو علميّة بما يؤكد أنّ الآية في حال مشهد استعراضي أي تحرّك جرياني متواصل لأنّها كائن حي، إذ إنّ هذه الحيوية الكلماتية تتبلور من خلال عناصر التّصريف المنبثة في النسّق القرآني.

تفرّدها وإعجازها:

إنّ معجزة التّحدي قائمة ومحمولة بالذات الرساليّة، وعندها يتبدّى المجهود المقطعي (حم) بأجلى صورة إذ تنافح وتكافح من أجل إثبات الهيمنة الالهيّة المطلقة ورسالة الوحي السماوي وإثبات مبدأ النّبوة وأحقية الرسول بالرسالة من خلال سياق التوحيد شريعة الهيّة فاردة.

ويتبلور من هذه الحواميم _ كتحصيل حاصل ـ وجه إعجازي للنصّ القرآني لا يمكن المكابرة بتقليده أو الادّعاء بمحاكاتهِ وهو مظهر استبطاني لمجهود السور في الدفاع عن التوحيد وأصول العقيدة وإثبات الرسالة، ذلك أنّ الاعجاز هو اللبّ القرآني أو الروح المتسري والمتصرّف في آي القرآن. وقد وقع التّحدي بالتّصريف على كلّ المستويات (بعشر سور، بسورة، بحديث...) الخ، بما يعني أنّ التّحدّي بالتّصريف هو التّكثير، لا سيمّا وأنّ القرآن يتحدّاهم وقد أجرى التحدي في جميع مراحله تصريفاً وجرياناً، وهذا ما أعطى حركية للتحدي وثباتاً في العقائد على مرّ العصور.

فإذا كانت هذه الحواميم مصدرة بمفتاح إعجازي شديد الانغلاق وهو الحرف المقطّع وقد عجز المعارضون عن إيراد الأنساق المعنوية فما بالنا بالاستغلاق الّلا معنوي، لذا فهم غير قادرين ها هنا من باب أولى.

أمّا القول بأنّ هذه الحواميم هي ((حكمة محمد التي أعجزت الخلائق))(١٧).

فلأنّها ((النهاية في الصّواب والسّداد أحكمها الذي أحاطت قدرته فهو لا يخلف الميعاد)) (١٨). لذا فهي بمثابة عصا لمحمّد إن كان لأخيه موسى صلة بها: العصا التي تنفذ مرادات ماسك العصا فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعصاه وهي (الحواميم) يفعل ما يشاء بإذن الله.

ولعلّ تشبيه هذه الحكمة بعصا موسى من باب القوّة الفاعلة والإبانة الجاذبة لذا اتهّم كلّ منهما في دعوته بأنهّ ساحر.

ويختلف النّمط الإعجازي في هذه السور المفتتحة بالحروف المقطعة عن النّمط الإعجازي للنسّق المعنوي، وهذا يستوجب لزوم إعجاز من نوع آخر في المقطع أعلى رتبة من الأول وهو الإعجاز السّري الخفي في هذه السور في حرفين (حم) إذ يكمن في خفائهِ وعدم معرفة سرّه لأنّه ليس بلاغياً ممّا هو متعارف عند الناس.

وهنا يقول الاستاذ المرحوم عبد الجبار حمد شرارة:

((وحيث أنّ الحروف المقطعة مفردة من مفردات التميّز البلاغي والأسلوبي ـ كما رجحنا ـ فقد ناسب أن تتكرّر في السّور المكية مع تنوّع صيغها تأكيداً على تفرّد القرآن ومخالفته المعهود من كلامهم))(١٩). وهذا يؤول بنا كما قال القدماء إلى أنّ الحرف في العربية يقوم مقام المعنى، قال القرطبي.

((إنّ كلّ حرف يؤدي عن معنى وقد تكلمت العرب بالحروف المقطعة نظماً لها ووضعاً بدل الكلمات التي الحروف منها...))(٢٠).

وهذا يؤكّد أنّ الخطاب بالمقطّع غير عبثي كما يدّعي المناجزون لأنهّم لم يستطيعوا معارضته لعدم توافر معنويته عندهم حينها، وبذا فعدم فهمهم لا يدلّل على عدم إبانته بل لتطاول الزمن عليه فأبهم وأدغم... ويفصّلُ هذا المعنى الآلوسي فيقول فيها: إنّ ((مذهب سيبويه وغيره من المتقدّمين أنّها أسماء لها وسمّيت بها إشعاراً بأنها كانت كلمات معروفة التّركيب فلو لم تكن وحياً من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها وذلك كما سمّوا بلام والد حارثة بن لام الطّائي وبصاد للنحاس وبقاف للجبل واستدل عليه بأنها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن بأسره بياناً وهدى ولما أمكن التحدي به وإن كانت مفهمة فأمّا أن يراد بها السّور التي هي مستهلها على أنها ألقا بها بناءً على ذلك الإشعار أو غير ذلك، والثاني باطل.))(٢١).

ويمكن الربط بين البيان المعجز في هذه الحواميم وحروفها المقطّعة من جانبين: الأوّل: إيماني عقائدي، وذلك في كونها زبدة التوحيد وخلاصة العقائد والمقاصد الالهيّة الأخر..، والثاني: جمالي فني، إذ يلحظ في هذا الجانب موقعها التّنزيلي المميز إبانة وتناسباً وتصريفاً.... ولمّا كانت فواتحها المقطعة ــ كما قلنا ــ تخلو من الجانب المعنوي فعندها ننتقل من منطقة الإبانة الظاهرة في النصّ القرآني إلى منطقة التفرّد الإعجازي (الخفي) كـ(فن)غيبي غير متعارف.

ومن هنا فإنّ بلاغة الحواميم تعُدّ عنصراً مجدّداً ومنشّطاً للتنوّع المعنوي في الإعجاز والوحي القرآني ممّا يجعلهما متجددّين وجاريّين جري الفلك السباح، بمعنى أنّ البلاغة القرآنية متطورة تطور الوحي، وعندها يضفي الإعجاز عليها القدرة اللامتناهية بحيث تصبح نظاما قرآنياً لا يمكن مطاولته أو الإتيان بمثله في معركة التحدّي إلى يوم الدين.

وبعد ــ ومن ملحظ كشفي ــ فإنّ للحواميم وشائج اتصالية مع النظرية الاعجازية تتمخص في أنّ الحفظ التبادلي بين الكاشف والإعجاز من خلال حقيقة أن الكاشف قطعة من الإعجاز العام فما يجري على الإعجاز يجري عليه هذا أوّلاً وثانياً: إنّ الكاشف قطعة إعجازية متحركة بضوابط بحثية معيّنة إذ نستحصل من خلال هذه الحركة ثوابت معنويّة تخصّ الإعجاز من جهة ونمطية الحركة من جهة أخرى.

وقد توافرت هذه في الحواميم لشموليتها واستحقاقها الكفوء لتكون كاشفاً عقائدياً منجّزاً لأهدافه طبقاً لآلية التركيز والإيجاز القرآني التي تتبلور عندها أيضاً ضخامة السور الطوال من عينية عمق القصار، فالطويلة عين القصيرة بلحاظ تركيز النص وتماسكه ذلك ((أنّه يؤاتي بعضه بعضاً وتناسب كلّ آية منه كل آية أخرى في النّظم والطّريقة، على اختلاف المعاني وتباين الأغراض سواء في ذلك ما كان مبتدأ به من معانيه وأخباره وما كان متكرراً فيه، فكأنّه قطعة واحدة...))(٢٢) وفي ضوء هذا المبدأ الإعجازي يمكن انطواء القرآن كله في فاتحته التي إن بسطت انتجت المصحف كله...

وعلى ما تقدّم فالإعجاز القرآني قائم في هذه السّور بملحظين:ملحظ عام : وهو الإعجاز الذي يلفّ الجميع... وملحظ خاصّ: وهو ما يتناسب وخصوصيتها اللّبابية المذكورة وجليل حكمتها المحمديّة ومن ذلك تستحوذ لبابيّتها على الآستفراد وتستقطب ذلك الانفراد الذي يمنحها تلك الخصيصة أو المائزة على غيرها كالبدر في وسط الأنجم.

٢. السّبع الطّوال ومناطق الكشف :

تسميتها وانتخابها:

يطلق اسم السبع الطّول أو الطوال على سور: البقرة، مدنية (مئتان وستّ وثمانون آية): وآل عمران مدنية (مئتا آية)، والنساء مدنية (مئة وست وسبعون آية) والمائدة مدنية (مئة وعشرون آية) والأنعام مكّية (مئة وخمس وستون آيه) والأعراف مكية (مئتان وست آيات)، والأنفال والتوبة مدنيتان (خمس وسبعون آيه ومئة وتسع وعشرون آيه) وهما بمثابة سورة واحدة لعدم وجود البسملة بينهما ولمقاربة المقاصد وتشابه المضمونات ذلك أنهّما ((نزلتا جميعاً في مغازي رسول الله صلى الله وعليه وسلم وسمّيت طولاً لطولها)) (٢٣)

وإن انتخابها وحدها أكثر توفيقاً من غيرها نظراً لاحتوائها على كل ماهو مطلوب من نثار اللّباب من جوامع الكلم وفصل الخطاب وذلك لاستطالة موادها النّصية واشتمالها على أصول العقيدة والتوحيد والأحكام والمواعظ واللّقطات الأخلاقية والآيات الكونيّة كما ردّت ودحضت المبطلين والملحدين.

من هنا ((قال بعض الأئمة: ((... وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين وآل عمران مكملة لمقصودها، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم.... وأمّا سورة النساء فتتضمن جميع الأسباب التي بين الناس وهي نوعان: مخلوقة لله تعالى، ومقدورة لهم كالنّسب

والصّهر... وأمّا المائدة فسورة العقود وبهن تمام الشرائع، قالوا: وبها تمّ الدين فهي سورة التّكميل بها ذكر الوسائل كما في الأنعام والأعراف ذكر المقاصد كالتّحليل والتّحريم...))(٢٤).

أمّا سورتا الأنفال والتوبة فقد اقتربتا مضموناً لأنّ كّلا منهما نزل في القتال فالأولى كانت لتفويض قسمة الأنفال لله وللرّسول وبيان ذلك والثانية نزلت لتحديد علاقة المسلمين بأعدائهم آخر عهد النبوة. (٢٥)

فالبدء إذاً بمقاطع متواضعة الطول بالنسبة للقرآن ككلّ تمهيد لاستشراف مهامه الكلية وآستنتاج مبدأ كشّافي قرآني دلالي عام من خلال هذه المحاولة التقريبية.

لبابيتها وتصريفها:

إنّ المقاصد اللبابية المتشابهة هي المقاصد العقديّة بدلالة قوله تعالى:

((الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)).(٢٦).

فهذه المقاصد لمّا كانت متشابهة وهي التّوحيد والمعاد والايمان بالكتب المقدسة والرسّل المرسلة فهي تتطلّب أن تكون في حلقة واحدة من الايمان بها جميعاً، لذا انتظمتها الآيات جميعاً على وفق غاية واحدة متّسقة، من هنا يقول العلامة الطباطبائي ((فالمراد بالإيمان بالغيب في مقابل الإيمان بالوحي والإيقان بالآخرة، هو الإيمان بالله تعالى ليتمّ بذلك الإيمان بالأصول الثلاثة للدين، والقرآن يؤكّد القول على عّدم القصر على الحسّ فقط ويحرص على اتباع سليم العقل وخالص اللب)) (٢٧).

ونثار هذه اللبابية كامن في النّسق القرآني ما بين مركّز ومخفّف وهو لا يقدح في عموم الصفّة الإعجازية لآياته بملحظ كونها قابلة للتّبادل الكشفي بينها...

فمثلاً، يقول الآلوسي في تفسيره:

((سورة البقرة مشتملة على بيان معرفة الربّ أوّلاً كما في (يؤمنون بالغيب) وأمثاله، وعلى العبادات وما يتعلق بها ثانياً وعلى طلب ما يحتاج إليه في العاجل والآجل آخراً...)). (٢٨)

ولمّا كانت الإحالة اللبابية والتّصريفية قد تقع في مكان آخر من النّص القرآني فإنّ اللبابية المتمخضة في الحواميم تصلح أن تكون كاشفاً تفسيريّاً أو تأويليّاً لعموم القرآن بما فيه طواله أو قصاره أو مواسيطه، دلالة على كشف بعضه بعضاً.

أمّا التصريف اللبابي فهو حركة دؤوبة وجريان سارٍ في الكون العام، فلا توقّف في نقاطه ولا تمكّث في حالاته، إذ إنَّ الآية جارية التّجدد في المعنى تعطي ثمارها كلّ حين بأمر ربها مفتّحة للكمائن بحسب أوقاتها.

من هنا فتصريف الآيات في هذا الباب: تنويع عرضها بأنماط بيانيّة وأساليب بلاغيّة، فهي مكرّرة بالحقيقة الباطنة ومنوّعة بالظاهر البياني وهذا أكبر دليل على أنّ النص القرآني جارٍ ومتجدّد في تنوّعه المعنوي المعجز.

وهذا ما يحقّق الامتداد التواصلي بين آيات القرآن الكاشفة والمكشوفة (مقطعات، مكيّات، مدنيات، طوالاً، قصاراً...) الخ، يتواصلن عبر ذلك الامتداد الذي هو بمثابة كيان واحد ونسق واحد، وما كان ذلك إلّا بقوة الإعجاز ومتانته لأنّه هو الحافظ لكلّ معطيات القرآن: كشفاً وتأويلاً وتفسيراً.

مسارها واقتداؤها:

إنّ التجميع الغائي هو المسوّغ الوظيفي لانتخاب النسق المنضّد لهذه المقاصد، وعندها فنسق الحواميم يجب أن ينتظم في سلسلة منها لكي يتم استكشافها في مواقع أخر من القرآن الكريم، وهي هنا السّبع الطوال: موضع البحث، إذ يكون التطبيق اقتدائيا: أي أنّ المكشوف يقتدي بالكاشف، فالحواميم إمام للاقتداء للنصّ المطبّق عليه وهو السّبع الطّوال وهي تقوم بتجميع نثارها اللّبابي كما هي مجمّعة فتصبح ظفيرةً مجدولة من المعاني فتوحّد مقاصدها كما هو حال الإمام المقتدى بـه، أي أنّ الكاشف ينسّق وضعيّة المكشوف تلبيباً وتجميعاً بالمقاصد المشتركة بينهما، وهي أصول التوحيد والنبوة والمعاد والقصّ على سبيل المثال.. وغيرها وهي مبعثرة في الطوال تتجمّع على نحو مركّز إذا ما استعملنا نسق الحواميم كاشفاً في هذه العملية.

وكما قلنا فقد انتخبنا الحواميم لأنّها مركّزة، إذ التركيز دائماً هو الصفة اللامعة في انتخاب النّسق الكاشف ولكن هناك معابر مهمة بينها وبين الطّوال من أهمّها الاتحاد العددي مع أن مساحة القطعة في الطوال طويلة وفي الحواميم أقصر وهذا يشير إلى تركيز النص وتكثيفه وعمق مفهوماته فيها، فإذا ما سلّطنا الكثيف أو المركّز على الخفيف أو المنتثر أودى بطبيعة الحال ذلك بتركيز خفيفه وتصعيد رفيفه (نثاره)، وهذا نوع من الاستحراث البلاغي الكشفي للقرآن.

ومن المعابر المهمّة أيضاً إنّ البلاغة جلية في إيجاز الحواميم.. ومن هنا فما كان على المكشوف إلا أن يقتدي بالكاشف من حيث الإيجاز العباري والإلفات الإشاري بما يستحصل منهما استخراج بعض النّكات الإعجازية في البساط المكشوف لأنّ الإيجاز القرآني هو مَمَرّ للإعجاز.

وتوضيحاً لهذه العملية الكشفية: نمثّل الحواميم بقاطرة الكشف، والطريق بنسق الآستشهاد (وهو السّبع الطوال)،.. و الغايات: أو المقاصد هي لبابية الحواميم من عقائد وتوحيد وتربية وإشارات علمية وغيرها، فبمسير القاطرة بأتجاه غاياتها العليا يتمّ الاستكشاف التلقائي لأسرار الطريق... أي أنّ السبع الطّوال بما أنهّا من القرآن فهي تقود الكاشف في مسيرته الغائية وهكذا تكون عمليّة الكشف منضبطة بعاملين: هما: نقطة المقصد، ومسار الطريق فالكاشف يتحدّد بمسار الطريق وبنقطة الانتهاء ولا يحيد عن هذا المسار القرآني في وظيفته الكشفيّة.

ذلك يعني أنّ مقاصد القرآن يتمّ كشفها باللّبابّ القرآني كما مثلنا وخلاصته: إنّ قاطرة الوصول إلى المقاصد هي النّسق الحواميمي، والطريق المستهدف هو السّبع الطّوال، والغاية اللّبابية هي الحصيلة المركزية لمقاصد القرآن...

وعلى ما تقدّم: فإنّ هذا الكشف أو الانكشاف لسور القرآن وآياته يتمّ عبر التّبادل المعنوي والتواصل الدلالي بين كاشفها ومقاصدها ذلك أنّ هذه الوثيقة الرّبانية لتتحمل أمثال هذه الحركة الجدليّة بطرفيها الكاشف والمكشوف، استكمالاً لاستثماره العلمي والمعرفي.

٣.الحواميم والطّوال:المقاصد والتّطبيق:

إنّ المقاصد القرآنيّة تستمد عبر أصول مهمات القرآن أو الأصول الثلاثة الأساسية على اختلاف إطلاقاتها(٢٩) وهي التّوحيد والنبوة والمعاد الموجودة في كلّ القرآن بدليل تشابه مقاصده وتجدّد تصريفه وأغراضه المتواصل، كما أنّ وضوحها في هذه الثلاثة هي المهيىء لإظهار الجوانب التّفسيرية والكشفية بين السّور والآيات.

ولمّا كانت هذه المقاصد هي اللّباب أو الأصل أو القلب فإنّ كلّ ما عداها تعضيد بياني توثيقي لها...
من هنا يقول الفخر الرازي:

((... ومن تأمّل في هذا البيان الذي ذكرناه علم أنّ المقصود من كلّ القرآن تقرير التّوحيد والنّبوة والمعاد، وأمّا القصص فالمراد من ذكرها ما يجري مجرى ضرب الأمثال في تقرير هذه الأصول))(٣٠)

ومن هنا تتحد المقاصد مع هذه الاصول الثلاثة ذلك أنّها محتوية للدليل القصدي وهو الدال على هداية الناس نحو الصراط المستقيم وهذا هو قصد القرآن الأوّل وهدفه في إعجازه.

وسنقف ابتداءً عند هذه المقاصد، لاستخلاص مشتركاتها المعنوية بالحواميم عبر الاصول وذلك بالتنفيذ الكشفي على السّبع الطّوال ذلك أن الأمور تجري لغاياتها فكما أنّ الكواشف تصبّ في مكشوفاتها كذلك يتم التكاشف بينها ــ وهي على النحو الآتي:

ــ التّوحيد:

هو ((الاعتقاد بأنّ الله واحد لا شريك له))(٣١)، وله ثلاثة أقسام: توحيد الذّات وتوحيد الصّفات وتوحيد الأسماء والأفعال، وهذه هي الأساس بدليل أنّ القرآن مستفيض بتناول هذه الثلاثة والتّوكيد عليها، لذا فاحتواء السورة على هذا اللبّ يعطي انطباعاً استدلالياً على أنّها تصلح كشافاً توحيدياً لبقية السّور التي احتوت هذا الجانب.

الايمان بالله إذاً وجوداً ووحدانيّة أي انهّ موجود وأنّه وجود واحدي لا شريك له وهو ((الركن الأوّل من أركان الاسلام وأساس مسائل العقيدة جميعاً))(٣٢)، بل هو المشترك في جميع الكتب المنزلة لليهود والنّصارى والمسلمين والصّابئة، بمعنى أنّ طوائف أخرى من غير المسلمين تجتمع عند نقطة التوحيد، وهي تعتقد بأنّه ارتكاز أوّلي يتوجب جملة من الاستحكامات العقلية والنواميس الكونية التي بتجلّيها الظّاهري تشير بإصبع الدّلالة الرمزي إلى الوحدة ونبذ الإثنينيّة، وهكذا نحصل على هيكلة وحدانية مع تكثّر الصور وهي في حقيقتها تشير الى وحدة المنبع والمصدر، لذا كانت الهيمنة الالهية المطلقة بالقدرة والاحتواء والحفظ والإحاطة النظامية توزن الاشياء بحسب مقاديرها لأنّه سبحانه وتعالى هو الحقّ المطلق.

ولمّا كانت الحواميم هي اللّباب أو القلب من الجسد أو نقطة الاتكاز من المحيط فهي تتّسم بالعقيدة وجوباً تلقائياً إذ إنّ العقيدة هي قلب الشريعة وأصول الدين هي نقطة الارتكاز لأحكام الدين، ومن هنا سنقف عند الكشّافات الدّاخلية للقرآن بين الحواميم والسّبع الطوال لبيان ذلك:

فقد جاء من هذا الباب في (أمر الله وقدرته وقوله للشّيء كن فيكون) في السّبع الطوال: قوله تعالى: ((بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ))(٣٣). وقوله تعالى: ((قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ))(٣٤) وقوله تعالى: ((إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ))(٣٥)، قوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)).(٣٦)

وفي هذا الباب أيضاً جاء في الحواميم: قوله تعالى:((هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ))(٣٧).

وبعد تحكيم النّص الحواميمي نفسه في مسار البحث لتوجيه المدى الدّلالي له في كشف الآيات الأخرى من (السّبع الطوال) نجد أنّ الأمر الكنّي يتعلّق تلقائياً بالتخليق والتكوين والإحياء والإماتة ذلك أنّ عين المصداقية للتّخليق والتّكوين هما صفتا الخلق والإماتة المتقابلتين في ازدواج وصفي يغلب على عموم القرآن وهو ما يمكن تسميته ب(المثنى التوصيفى).

وإنّ ربط الحواميم بالطّوال من خلال التّوحيد في هذه الظاهرة بملحظ أنّ الإحياء عين الإماتة فهو هي بمنظار الوحدة المطلقة وهذه ضمن أصول التّوحيد ومحاور العقيدة.

ومن باب (خلق الله اللّيل والنّهار) قال الله تعالى في السّور الطّوال:

((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)).(٣٨)

وقال تعالى: ((تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ)).(٣٩)

وقال تعالى:((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ)).(٤٠)

وقال تعالى: ((فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ))(٤١).

وقال تعالى: ((..يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)).(٤٢)

وقال الله تعالى في الحواميم: ((اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)).(٤٣)

وقال تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ))(٤٤) .

وقال تعالى: ((وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)).(٤٥)

ومن مدخل كشفي أوّل نلحظ مائزاً لبابياً في السّور المتقدمة يتجلّى في التنوّع بين نسق سورة البقرة لقوله تعالى: ((...وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)).

وبين نسق سورة الجاثية لقوله تعالى: ((...وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)).(٤٦)

يقول البقاعي:

((ولمّا ذكر ما يشمل الماء ذكرسبب السحاب الذي يحمله فقال: (وتصريف الرياح) في كل جهة من جهات الكون وفي كلّ معنى من رحمة وعذاب وغير ذلك من الأسباب ولم يذكر الفلك والسّحاب كما في البقرة لآقتضاء اللبابيّة المسمّاة بها الحواميم، ذلك لأنهما من جملة منافع التّصريف...))(٤٧).

إنّ تصزيف الرياح هو جريانها ذلك أنّها متمنّعة عن السّكون، وعندها فكلّ ما كان متحرّكاً يفيض على الوجود حركة وحياة لأنّها تسيّر السّحاب وهذه محمّلة بالغيوث التي هي مدرّة الأرزاق... وبذا كان مصدر الرزق هو جريان الريح المبارك وسكونها انعدام الحياة.

لبّ العملية هذه (عملية الرزق) إذاً يبدأ بكلمتي (تصريف الرياح) وهذا تطبيق واحد من تطبيقات اللّباب وعليه يمكن قياس الباقيات.. ومن هنا فالحواميم تجري كما يجري الليل والنهار بتجدّد آليّة الجري والانطباق ويمكن أن تكون هي مصدر الحركة التي هي لبّ الأكوان الحية لأنّ السّكون نقيضها وهو الموات.

ولمّا كانت الآيات كما يقول الطّباطبائي في تفسير قوله تعالى:

((هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ)).(٤٨)

((هي العلائم والحجج الدالّة على وحدانيته تعالى في الرّبوبية والألوهية.... والآيات مطلقة شاملة للآيات الكونية المشهورة في العالم لكّل انسان صحيح الإدراك، والآيات التي تجري على أيدي الرّسل والحجج والقائمة من طريق الوحي)) (٤٩)، فمن هنا تكون الآيات الكونيّة مدخلاً كشفياً ثانياً للسبّع الطوال من خلال الحواميم وهي آيات ((يوجه الله فيها نظر الإنسان إلى كلّ ما في الكون من مظاهر الوجود ويرشده إلى السبيل المؤدّي إلى الإيمان به تعالى)).(٥٠)

إذ إنّ آليّة التّخليق عبر الإيلاج والإخراج بيّنة فيها بمعنى أنّ استعراض الظواهر الكونية ليلاً ونهاراً شمساً وقمراً مع ذكر آيات التّكوين والتّخليق لهو أدلّ الواضحات على أنّ المشترك المعنوي في هذه السياقات القرآنية هو أمر واحد يتبلور من خلال معرفة أنّ التّكوين عملية حركية مصاحبة لمساريّ الخروج والدخول في عالم الكون والفساد لا سيما وأنّ الولادات هي عمليات خروج والوفيات عمليات اندثار في الأرض بدليل قوله تعالى: ((مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى))(٥١).

فالاستشهاد بالظاهرة الكونيّة إذاً لتعضيد الدلالة التّكوينية والتّخليقية التي هي أهمّ من الظاهرة العلمية الفلكية وهو إلفات نظر ذهني من القرآن للرّبط بين المظهر الكوني والآية الوجودية القرآنية أي الاستدلال بالأضعف (وهي الظاهرة العلمية) على الأقوى (وهي الظاهرة الوجودية التخليقية).

ومن هنا فإنّ ((إيقاظ الاحساس بالربانية والنظر بالآيات الهاتفة ليس زائداً على أصل المعنى ثم إنّك تجد محاور أخرى تصرّف القول حولها تصرّفاً عجيباً مثل التّرغيب والتّرهيب الذي يدخل في دائرته تكرار الجنة والنار والحاقة والقارعة وقصص الأنبياء وكفاحهم وما إلى ذلك..)).(٥٢)

وقد كان التوحّد والآتفاق في أصل المعنى أو منطقته وعندها فإنّ الأشكال أو الأنماط والأساليب المتنوعة المتكثرة هي من باب مواءمة تنوّع الحواس وتكثّر الأذواق على وفق الارتسامات الحركية البيانية للنّص القرآني.

لذا فالحركة المشروحة أو الموجودة في الحواميم هي اختزالية عن الظّاهرة الكونيّة العامة ولكنّها باختزالها متكاملة تكاملاً إعجازياً وهو أنّ مصدرها ونقطة سيطرتها ها هنا، بدليل تعاضد الحقائق العلمية والنّكات البيانية في كشف التأطير العقائدي والتّرسيخ العلمي، وهذا ما يحقق التّلازم الجدلي بين العقيدة والأدلّة المثبتة في الكون على تلك العقيدة.

النبوّة:

وهي ((فضل وهبة من الله تعالى لمن يشاء من عباده، فلا تنال بالكسب ولا بتكلّف العبادة واقتحام أشق الطاعات ولا تدرك بتهذيب الروح وبتصفية النفس وتنقية البدن من رذائل الأخلاق ولا بالوراثة ولا أثر للذكاء فيها ولا تأثير للمجتمع فيها)).(٥٣)

ويعدّ هذا الأصل من العقائد الرديفة للتوحيد إذ يمثّل مطلق الإيمان برسالة النبي وكتابه فيما بلغه عن ربه ورسالات سابقيه وكتبهم عليهم السلام، أيضاً لأنّ الايمان بهم وجوبي ذلك أنّهم الهداة الحقيقيون إلى الصراط المستقيم والسبيل اللاحب، ومن هنا فإنّ الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ونكران الآخرين لا ينفع بحساب أنّ الرسل جميعاً يدعون إلى التوحيد في حلقات متتابعة متعاضدة لاتفرق بين أحد منهم إلا بالملحظ التاريخي وخصوصيّة القوم المبعوث اليهم إذ تتجلى قيمة العقل المؤمن المستنير في هذا الباب لأنّه أداة العقيدة والوسيلة المتعاطية مع النبّذ العقائدية بل هو الممتحن بهذه العقائد يوم القيامة، ((وذلك عن طريق إشعاره بالامتداد بعد الموت والانتقال إلى ساحة العَدل والجزاء التي يحشر الناس فيها ليروا أعمالهم{ قال تعالى }: ((فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)) (٥٤). وبذلك تعود مصالح الجماعة مصالح للفرد على هذا الخط الطويل)) (٥٥).

وبعد، فالنبوة تصلح كشّافاً ثانوياً بعد التّوحيد لإسباغ كشف آخر على السور الأخرى التي تمخضت عن الكشف الآخر، ولمّا كان منوال العرض القرآني قد جرى في الأصل الأول وهـو (التّوحيـد) علـى التصريف الذي هو تنويع من واحد وتكثير من أس جذري، فإنّه قد جرى في الأصول جميعاً بل فـي كلّ القرآن، لذا سنلحظ في قضية لبابية مهمّة جداً وهي (سماوية الوحي والرسالة) تعدديّة ظاهرة الوحي بدليل تعدّد الأنبياء والرسل وهم يدعون إلى التوحيد على نمط واحد، لأنّ المرسل واحد، إذ إنّ تنوعية الإرسال لاتقدح في أحدية المرسل، وهذا هو عين التصريف الجرياني للقرآن الذي يؤكد هذه الحقيقـة بإيراد كمّ هائل من القصص على المرسلين وما تعرضوا له من ردود أفعال أقوامهم.

إنّ توكيد الله سبحانه وتعالى على سماوية الرسالة هو لقطع الطريق علـى المعانـد وسـلب الـسلاح العقائدي (المتلبّس باللّغة) منه بالمرّة لكي يعترف بعجزه عن مجاراة القرآن وسحبه منه فـي عمليـة مباغتة وتحريك المعركة لصالح السماء.. من ذلك قوله تعالى: في سورة الشورى:

((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِـن جَعَلْنَـاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ))(٥٦).

وهنا نلحظ العلاقة بين الوحي والروح والأمر، فالأمر هو الايعاز المنزل بالوحي وهو ما يدل ــ كمـا يقول الباقلاني ــ ((على صدوره من الرّبوبية ويبيّن عن وروده عن الالهية... فجعله روحاً لأنّه يحيّى الخلق فله فضل الأرواح في الأجساد وجعله نوراً لأنه يضيء ضياء الشمس في الآفاق)).(٥٧)

وقد كشف الشّيخ عبد القاهر الجرجاني بهذه الآية (وهي من الحواميم) لقوله تعالى: (({ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَـاتِ لَـيْسَ بِخَـارِجٍ مِّنْهَا...))(٥٨). ((وهي من السبع الطوال)) فقال:

((... وذلك أنّ المعنى ــ والله أعلم ــ على أن جعل العلم والهدى والحكمة حياة للقلوب على حدّ قوله عزوجل: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا)) سورة (الشّورى:٥٢) فالمجاز في المثبت وهـو ((الحياة)) فأمّا الإثبات فواقع على حقيقته لأنّه ينصرف إلى أنّ الهدى والعلم والحكمة فـضل مـن الله وكائن من عنده))(٥٩)

وكذلك من هذا الباب قوله تعالى في السّبع الطوال:

((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُـونُسَ وَهَـارُونَ وَسُـلَيْمَانَ وَآتَيْنَـا دَاوُودَ زَبُوراً)).(٦٠)

وقد كشفت هذه الآية بآيات سورة الشورى من الحواميم لقوله تعالى: ((حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)).(٦١)

ويقول الفخر الرازي ــ ممّا ذهب إليهِ ــ في القول الثاني وقد رجّحه واعتمده في بيان معنى الآيات: ((أن يكون المعنى: مثل الكتاب المسمّى بحم عسق يوحي الله إليك، وإلى الذين من قبلك، وهذه المماثلة المراد منها: المماثلة في الدعوّة إلى التّوحيد والعدل والنّبوة والمّعاد وتقبيح أحوال الدنيا والتّرغيب في التّوجه إلى الآخرة...))(٦٢)،

وكشف الطباطبائي عن ذلك التّصريف الجرياني بآطّراد السّنة التاريخية في الذين خلوا فقال: ((وعليه يكون قوله: ((إليك وإلى الذين من قبلك)) في معنى إليكم جميعاً، وإنّما عبّر بما عبر للدلالـة على أنّ الوحي سنة الهية جارية غير مبتدعة، والمعنى أنّ الوحي الذي نوحيه إليكم معشر الأنبياء نبياً بعد نبي سنّة جارية هو كهذا الذي تجده وتشاهده في تلقي هذه السورة)).(٦٣)

وهنا تتبلور قضية أساس تشريع الوحي، لأنّ التشريع من مضمونات الإعجاز وأساليبه المتنوّعة، فلمّا تشرّع الوحي في الذات الرسالية تطلب ذلك وجوداً إعجازياً خاضعاً لضوابط ذلك التّـشريع فأصـبح

الإعجاز منضبطاً بالمشيئة الالهية الحاكمة على تشريع الوحي وكلّ المعاجز وبضمنها القرآن الكريم....

ومن هذا الأصل اللبابي أيضاً ما ورد في محاجة الخصوم والمعاندين من يهود ومشركي مكّة، وعندها سيكون الكشف بلحاظ سياقي الحواميم والسبع الطوال...

قال تعالى في السبع الطوال: ((وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ))(٦٤).

وقال تعالى في الحواميم:((وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ)) (٦٥).

فالمشترك الكشفي بينهما هو الغطاء الحجابي أو (الاستجنان) وهو مستوسق بين السّياقين على النّحو العام وهنا يقول الزمخشري ((وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن تقبّل الحق واعتقاده)) (٦٦). لذا فقول اليهود كما يقول الشنقيطي ((في هذه الآية (قلوبنا غلف) كقول كفار مكة (قلوبنا في أكنّة) لأنّ الغلف جمع أغلف وهو الذي عليه غلاف والأكنة جمع كنان، والغلاف والكنان كلاهما بمعنى الغلاف الساتر) (٦٧).

وآستناداً إلى لبابّية الحواميم يبدو لي أن هناك تلويناً دلالياً بين المعنيين هو أدعى لمخاطبة الجنبة التعدديّة للمشركين، لأنّ ما أوردته آية فصّلت يتفوّق كثيراً على آية البقرة بلحاظ أنّ (الكنّ) في الآية وهو وكر الطائر، معناه بحساب الانحفاظ مع الحصانة، وهو حكاية عن قول أهل السليقة ومتمرسي البيان، أمّا (الغلف) في آية البقرة فهو انحفاظ بغض النظر عن خصيصة الحصانة، وهو حكاية عن قول اليهود.. وكلا القولين قد أدّعيا لتسويغ ما كانا عليه بعدم سماع الواعية...

ومن ذلك تتبيّن السمة البلاغية والإعجازية لمنطقة لباب القرآن في بلورة المضمونات القرآنية وتنويعها كي تستحصل مجامع الذهن البشري وتيسيرها للذكر.

المعاد:

وهو اليوم الآخر ومستقبليّة الجزاء،إذ يمثل الأصل الثّالث من أصول الدين التي أجمع عليها المسلمون، وهو الاعتقاد بالبعث والحساب وبالثواب والعقاب وعنده ((يشترط في الإيمان عدم إنكار ما علم من الدّين بالضّرورة كالإيمان بالملائكة والكتب السماوية والرسل السابقين والصّلاة والزكاة والحج.... وما إلى ذلك من فروض الدين التي ثبتت بالدّليل القطعي من الكتاب والسنة....)) (٦٨).

وإنّ العدل الالهي يقوم كاملاً في ذلك اليوم لأنّه من الممكن ألاّ يقع العدل على نحو التطبيق في الحياة الدنيا، إذ يمكن أن يملأ عندها الظلم والإفساد الأرض وهذا يدلّل على الارتباط الوثيق بين العدل والمعاد ذلك أنّ العدل المطلق لا يمكن استيفاؤه إلاّ حين قيام السّاعة كما أنّ هذا العدل يستوجب أن يكون الالة أو الخالق واحداً لأنه لو كان فيها الهة كثيرة لفسدتا ثمّ((انّ الخالق لهذا الكون العظيم لا يمكن أن ينهيه دون إبداء الأسباب التي دفعته إلى هذا الخلق ودون تعريف مخلوقيه بصفاته العديدة)).(٦٩).

فنشر العدل على البسيطة إذاً وتعريف عباده به وبجلاله وبوحدانيته ومن ثمّ الامتحان والابتلاء لتمحيصهم كي تتحقّق العلاقة بينه وبينهم على أكمل وجه.

فمثلاً نلحظ التناول العقائدي للحواميم في هذا الباب وعندها يركّز القرآن خطابه التّوجيهي على الحقائق الفطرية المباشرة التي بتماس تفاعلي يومي مع الانسان، وهي مبادىء عقائدية غائبة عن حسّه ومن هنا يقوم القرآن بالكشف عنها لانقاذه من هوّة الجهالة والعماية، لأنها ستتكشف له بعد الموت بكلّ قوّة المفاجأة ورهبة السّاعة... وما كشف القرآن له إلاّ لتحضيره ذهنياً لتلكم الأهوال والمشاهد، وهي مشاهد اليوم الآخر الذي يعدّ من دعائم العقيدة الاسلامية ثبوتاً وإثباتاً إذ تتوزع على حالتي الجزاء من

إثابة وعقاب وهي في الصّراع تقع بين الخير والشر.. ونقف عند الكشف أولاً في هذا الأصل بالسّبع الطّوال، فقد قال سبحانه وتعالى:

((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ))(٧٠).

فالميثاق المعهود (ألست بربكم...) قديم، وليس حديثاً ولكن نتائجه تترتّب على محاكمات يوم القيامة، وهذا ربط للماضي بالحاضر والاستقبال للقيامة عبر مشهد واحد قصير..

فالظالمون يتبجّحُون بعدّة وسائل علّها تخلصهم من الجحيم الذي هم فيه، كما هو بيّن بالسؤال والجواب الاستيفائي ليوم القيامة، وهو تصوير الهي لموقفهم النّفاقي وغير الثابت...

وفحوى هذه الآيات المكشوفة، أنهّم انحرفوا عن الميثاق القديم وأنّ قيام الساعة بما أشارت به السنّة هوعين العملية الآستجوابية حول الميثاق..

أمّا الحواميم الكاشفة في هذا الأصل فقد تناولت البطلان: الذي هو بمعنى الانحراف الإرادي عن الفطرة الذرية التي خلق عليها الانسان والميثاق الذي هو توكيد شاهد على عدم الانحراف، لكن الإنحراف حصل ووقع الناس فيه....

قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ)) (٧١).

وقال تعالى: ((..وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ {٢٧} وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)) (٧٢).

فالمشترك المعنوي الذي يتحقق منه الكشف هو (الميثاق والبطلان) إذ تدلنا الآيات اللبابية على أنّ البطلان:هو إنحراف عن الميثاق هذا أولاً وثانياً: لم ينفع المبطلون القصّ والعظة والاعتبار ثمّ قيام الساعة إشارة إليه ثالثاً وهما استلحاق مستقبلي لما حصل في القدم وقد ذكرا للجزاء والحساب ذلك أنّ ميزان الربح والخسارة هو ميزان الحق الثابت وعلى وفق النصّين: فالمبطلون خاسرون والمؤمنون رابحون..

وما يتّصل بهذا الأصل من المعاد والجزاء القصّ والمثل، إذ إنّ القص هو استرسال وارد في سياقات النص القرآني لأنّه من مكمّلات الهدف ومتمّمات الكشف، وكذلك المثل فهو أداة بيانية ناجزة في إيصال المقاصد المهمة...

وإنّ هذا التّنوع والتّقليب في أساليب التعبير القرآني هو للإبانة على أن الله سبحانه وتعالى قادر على التّصريف كيفما يشاء وأنىّ يشاء ومتى ما يشاء،... نقف عند سورة الأعراف من السبع الطوال، وتحديداً عند قوله تعالى: ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا... كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ))(٧٣).

فممّا جاء في التّفسير الكبير:((ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا)) فعمّ بهذا التمثيل جميع المكذبين بآيات الله... ثم قال ((لعلهم يتفكرون)) يريد يتعظون.

قوله تعالى (ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) اعلم أنّه تعالى لمّا قال بعد تمثيلهم بالكلب ((ذلك مثل القوم الذين كذبّوا بآياتنا)) وزجر بذلك عن الكفر والتكذيب أكده في باب الزجّر بقوله تعالى ((ساء مثلاً)).(٧٤).

أمّا الآيات الكاشفة من الحواميم ففي قوله تعالى: ((وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ .... فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ * فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ)).(٧٥)

فممّا جاء في تفسير الميزان:
((قوله تعالى (فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين) السّلف المتقدم والظّاهر أنّ المراد بكونهم سلفاً للآخرين تقدّمهم عليهم في دخول النار، والمثل الكلام السائر الذي يتمثّل به ويعتبر به والظاهر أنّ كونهم مثلاً لهم كونهم مما يعتبر به الآخرون لو اعتبروا وآتعظوا.))(٧٦).

خلاصة الكشف بعد أن عيّنا المواقع المهمة في الطوال والحواميم نجد أنّ التّقرير القرآني يثبت أنّ المثل السيء لصيق بالفئة المنافقة في السّياقين، الأولى في التمثيل والثّانية بالقصّ وهو ينطبق على القصّتين، ولكن الإضافة اللّبابيّة لقصّة موسى قد تجلّت بأن المثل السّيء سلفي أيضاً، أي ممتد الأثر الرجعي إلى ماضي آبائهم الذين بقيت فيهم من جاهليتهم وأساطير الأولين الشيء الكثير، كما أنّ في هذه الإضافة إشارة تصريفية إلى (جريان السنّة في الوعد والوعيد): بمعنى أنّه سينطبق عليكم ما انطبق من عقوبات على الذين سلفوا.

ومن ذلك فهذا ملمح من ملامح الحواميم في التركيز اللّبابي والتّوجيه المعنوي إذ الآشتراك في الجريان المتسرّي أو النكتة الإعجازية داخل القرآن.. وهذه كلّها تقع بآتجاه النظام الآلهي الثابت نحو الاستبصار، فهي إذاً مثار للموعظة والتذكر والاعتبار.....

ولمّا كان ((الإيمان باليوم الآخر: وهو يوم الجزاء عند القيامة وهو الباعث على العمل الصالح وترك المنكرات...)) (٧٧). فهذا يعني أنّ الرادع الأخلاقي محركه الأساس هو المعاد..ومن هنا سنقف في هذا الأصل عن الجانب الأخلاقي والتربوي، بدءاً: بالسّور الطّوال، لقوله تعالى:
((..وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ...)). (٧٨).

قوله تعالى:((الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))(٧٩) أمّا في الحواميم فقد قال تعالى: ((وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ))(٨٠).

فالحواميم في هذهِ السياقات هي محطة النصّ المركّز والمجمل الذي تستبينُ به النصّوص الأخر كما يبدو من المدى المعنوي المشترك بينها وهو ربط فحوائي أليق بعمليّة الكشف وأقرب إلى استجلاء المقاصد.

((الخاتمة ونتائج البحث))

توصّل الباحث إلى النتائج الآتية:

- إنّ الكشف القرآني أساساً هو مفهوم بياني إعجازي لأنّه يتضمن جلاء الحقائق من الخفاء والإشكال تفسيراً وتأويلاً، من هنا كان القرآن كلاً كاشفاً لا زيادة عليه ولا نقصان فيه بل محفوظ من بين يديه ومن خلفه.... وبذا فما كان هذا ديدنه فهو من الإعجاز في الصّميم، لأنّ الكاشفية صنو البيانية بل إنّها تفوقها بتسليط أنوار الكشاف (الآيوي) لإظهار مفهومات القرآن وآستشراف أسراره، وفي ذلك مصداق لتفسير القرآن بالقرآن.
- إنّ تشابه مقاصد القرآن يوفر صلاحية تلقائية ومسوغاً شرعيًا للكشف التفسيري أو التكاشف التأويلي بين آيه وسوره وذلك استنادا الى الثوابت البدهية المستمدة من علوم القرآن وهي تعين في فهم النّص اسلوبيّاً وبلاغياً ، لاسيما وأنّ هدف هذه المقاصد هو تذكير الإنسان بعبادة ربّه والارتقاء في مرضاتهِ وذلك بكشفها عبر الأصول وما على الباحث حينها إلاّ مهمّة جزئية في عملية الربط الجدلي بين الكاشف والمكشوف وبما يحقّق قاعدة تفسير القرآن بالقرآن.
- تتحلّى الحواميم بجملة صفات.. يؤهّلها لهذه المركزية أو اللّبابية التي اتصفت بها وذلك لاستقطابها زبدة مخض العقائد وأصول التوحيد وتكويرها على نحو مختصر، فهي بكشفيتها محتفظة بهذه الأصول والعقائد إذ تسير قدماً لتفسير ما عداها من الأنساق، ولكونها هي المركز والقلب والخلاصة بالشريعة وأصول الدين جاء تفردّها بالجاذبة المحمدية واختصاصه بها.
- إنّ هذه الحواميم في نزولها وترتيبها هّي من النسق البياني السرّي المندرج ضمن الإبانة الظاهرة أي ما تسرَّر في هذا انكشف من هذا بالقرينة السّياقية والجوار القرآني المتعاضد، فالتنزيل الموجود محفوظ بنحو أو آخر بجدوى الأنساق المتتالية المحكمة وعندها يأخذ السياق الجواري مداه في إستشراف ابانة المقطعة كاشفاً معيناً عن خفايا وجه الحواميم وذلك عبر منهج قرآني واضح للسياق المجاور في خدمة الكشف المقطعي قدر الإمكان، فما كان قبلاً وبعداً. ودائراً حول المقطع هو على نحو مباشر تعضيد تنزيلي لما احتوى عليه المقطع من لطائف وأسرار.
- كان التّنفيذ الكشفي بدءاً بالسّبع الطّوال وحدها في هذه المحاولة لكونها أكثر توفيقاً ومتطلّبات البحث في ضوء النظام القرآني ، فهي رأس القرآن المقدّم تشريعاً وعقائد مدنّية ومكّية وأنها طوال في نصيّتها وقد احتوت مقاصد تصريفيّة من اللّباب القرآني جريانا وانطباقا كغيرها من الأنساق في سور القرآن.
- إنّ حركة المعنى في النّص القرآني بدءا ، وقصدا ،واعجازا ،لهي من خفايا أبواب البلاغة وغوامضها ذلك أنّها هي الأساس المهّم في بحث النصّ إذ تتبدّى حولها المعاني وتتطوّر الصّور وعندها يتطلّب التعقّب المعنوي حسّا مدركا عالياً لشؤون اللغة وملابسات الوجود، وهذا هو لبّ العملية الكشفيّة والتناقلية الحاصلة بين آي القرآن.
- يعدّ الكاشف النسقي دليلاً على نظم القرآن لأنة أساساً جزء من النصّ العام المفروض حفظه ذكراً وقرآناً وعندها يمكن البرهنة على صلاحية النّسق المذكور كاشفاً حركياً يمكن تبنّيه في ضوء نظرية النّظم بلا مخالفات فنية أو بلاغيّة بل العكس إنّ نظرية النظم تتعضّد بمثل هذه الإيماءات الكشفيّة المستمدة من القرآن نفسه، وبالمقابل فعلى نظرية النظم أن تدعمه فنّيا أو بلاغيّاً لا سيما وأنّ هذه النظرية لا تحتوي على ما يخالف افتراضات الباحث للنّسق أو المقطع، فهذا النّسق منضبط بالنظم وهو متعزّز به هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالكاشف النسقي للحواميم عند تطبيقه على السّبع الطّوال كما حاولنا في البحث يختلف بالتأكيد فيما لو طبّق نفسه على الطّواسيم

مثلاً، مع اشتراكه معها بالاعجاز والنظام القرآني، وهذا ما يؤكّد أنّ النظم القرآني وإن كان هو مجموعة للأنساق المتّسقة فيه فهي محتفظة بكياناتها المستقلة.

- إنّ البيان في هذه الحواميم هو أرقى مراتب البيان في مجمل السور لأنّ الإبانة تتطلّب توضيحاً في مقام القصد وتفصيلاً في مقام الإجمال... وهذا ما توافر في اللّباب البياني للقرآن وذلك بوضع الشيء في موضعه المختصّ به، بما يمكن تسميته [ب(عدالة الكلام.)...

((وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين))...

((الهوامش والإحالات))

(١) النظم الفني في القرآن ص ٣٦ـ ٣٧.
(٢) ينظر: للمقارنة: اطلاقات الكشف ووجوهه بين الأمور الحقيقية والمعاني الغيبية... المعجم الفلسفي ٢/٢٣٠.
(٣) دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن ص ٤٥.
(٤) ينظر: الكاشف العلمي في التفسير (المقدمة) ص (ع).
(٥) جواهر القرآن ودرره ص ٤٨ وتنظر الصفحات ٦١، ٦٣، ٦٤، وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/٣٩٢.

*ونلحظ هنا أنّ ثواب الأعمال من الكواشف المقطعية الدالة على فضل سورة أو آية أو مقطع من دون غيرها، وهذا من الموروث الديني الذي يلقي نوعاً من الصبغة العقائدية على أهمية الكاشف فيما لو ارتفعت مناسيب أرصدته من الفضل المذكور.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١/٧٨ـ ٧٩.
(٧) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٠٧ـ ٢٠٨.
(٨) معترك الأقران في إعجاز القرآن ١/٥٧ـ ٥٨ و ينظر: أسرار ترتيب القرآن ص ١١٧، ضمن كتاب تناسق الدرّر في تناسب السوّر.
(٩) إعجاز القرآن ص ١٢.
(١٠) اللّباب في علوم الكتاب ١٧/٤.
(١١) اللّباب في علوم الكتاب ١٧/٥.
(١٢) أسرار ترتيب القرآن ص ١١٦.
(١٣) من أسرار التّعبير القرآني ص ٢٦.
(١٤) معارف القرآن من خلال الحواميم السّبع ص ٣٥٠ـ ٣٥١.
(١٥) ينظر: في ظلال القرآن/ المجلد الخامس (الصفحات: ٣٠٦٥، ٣١٠٥، ٣١٣٦، ٣١٣٧، ٣٢٠٦، ٣٢٠٧ وغيرها). وينظر: إيجاز البيان في سورة القرآن ص ١٦٤ـ ١٩٣.
(١٦) معارف القرآن من خلال الحواميم السّبع ص ٣٢٩.
(١٧) نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور ٦/٥٤٧.
(١٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/١١٤.
(١٩) الحروف المقطعة في القرآن الكريم (بحث) ص ٤٤٦.
(٢٠) الجامع لأحكام القرآن ١/١٥٥.
(٢١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني ١/٩٩.
(٢٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٠١.
(٢٣) البرهان في علوم القرآن ١/٢٤٤.
(٢٤) البرهان في علوم القرآن ١/٢٦٢.

(٢٥) ينظر: النظم الفني في القرآن ص ٧ـ ٨ والبرهان في علوم القرآن ١/ ٢٤٤.
(٢٦) سورة البقرة/ الآيات ١ـ ٤.
(٢٧) الميزان في تفسير القرآن ٤٩/١.
(٢٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني ٩٨/١.
(٢٩) يُنظر: تعدد هذه الإطلاقات: جواهر القرآن ودرره ص ٦٠ـ ٦١ والتفسير الكبير ٣٤/٢٨ ونظم الدرّر ٢٤٢/٦ـ ٢٤٣، والميزان في تفسير القرآن ٣٥٩/١٧.
(٣٠) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ٣٤/٢٨.
(٣١) أصول الدين الاسلامي ٥٢/١.
(٣٢) أصول الدين الاسلامى ٦٢/١.
(٣٣) سورة البقرة/الاية١١٧.
(٣٤) سورة آل عمران/الآية٤٧.
(٣٥) سورة آل عمران/ الآية ٥٩.
(٣٦) سورة الأنعام/ الآية ٧٣.
(٣٧) سورة غافر/ الآية ٦٨.
(٣٨) سورة البقرة/ الآية ١٦٤.
(٣٩) سورة آل عمران/ الآية ٢٧.
(٤٠) سورة آل عمران/ الآية ١٩٠.
(٤١) سورة الأنعام/ الآية ٩٦.
(٤٢) سورة الأعراف/ الآية ٥٤.
(٤٣) سورة غافر/ الآية ٦١.
(٤٤) سورة فصّلت/ الآية ٣٧.
(٤٥) سورة الجاثية/ الآية ٥.
(٤٦) سورة البقرة/ الآية ١٦٤، وسورة الجاثية/ الآية ٥.
(٤٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٩١/٧، وقارن: تحليل ذلك في: التفسير الكبير ٢٥٩/٢٧.
(٤٨) سورة غافر/ الآية ١٣.
(٤٩) الميزان في تفسير القرآن ١٧/ ٣١٧.
(٥٠) أصول الدين الإسلامي ٢٦/١.
(٥١) سورة طه/ الآية ٥٥.
(٥٢) الإعجاز البلاغي ص ٦٨.
(٥٣) أصول الدين الإسلامي ٢١٢/١.
(٥٤) سورة الزلزلة الآيتان ٧ـ ٨.
(٥٥) المرسل الرّسول الرّسالة ص ٦٧.
(٥٦) سورة الشورى/ الآية ٥٢.
(٥٧) إعجاز القرآن ص ٢٨٤.
(٥٨) سورة الأنعام/ الآية ١٢٢.
(٥٩) كتاب أسرار البلاغة ص ٣٧١.
(٦٠) سورة النسّاء/ الآية ١٦٣.
(٦١) سورة الشّورى/ الآيات ١ـ ٣.
(٦٢) التفسير الكبير ١٤٢/٢٧.
(٦٣) الميزان في تفسير القرآن ٩/١٨.
(٦٤) سورة البقرة/ الآية ٨٨.
(٦٥) سورة فصّلت/ الآية ٥.
(٦٦) تفسير الكشّاف ١٨٠/٤.

(٦٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧/ ٦٩ وينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن ص ١١٦ـــ ١١٧، ص ٢٩٢.

(٦٨) أصول الدين الاسلامي ١/٥٧.

(٦٩) أصول الدين الاسلامي ٢/٣٦٧.

(٧٠) سورة الأعراف/ الآيتان ١٧٢ـــ ١٧٣.

(٧١) سورة غافر/ الآية ٧٨.

(٧٢) سورة الجاثية/ الآيتان ٢٧/ ٢٨.

(٧٣) سورة الأعراف/ الآيات ١٧٥/١٧٧.

(٧٤) التفسير الكبير ١٥/ ٥٧.

(٧٥) سورة الزخرف/ الآيات ٥١ـــ ٥٦.

(٧٦) الميزان في تفسير القرآن ١٨/ ١١٣.

(٧٧) أصول الدين الاسلامي ٢/٣٥٣.

(٧٨) سورة البقرة/ الآية ٨٣.

(٧٩) سورة آل عمران/ الآية ١٣٤.

(٨٠) سورة فصّلت/ الآيتان٣٤/٣٥.

((كشّاف المصادر والمراجع)):

- خير ما نبتدىء به القرآن الكريم
- أصول الدين الإسلامي: تأليف الدكتوررشدى عليان والاستاذ المساعد قحطان عبد الرحمن الدوري –ط١– مطبعة وزارة التعليم العالي ـــ جامعة بغداد.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: تأليف الشيخ محمد أمين الشنقيطي ت ١٣٩٣هـــ خرج آياته وأحاديثه الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي (ط ٣) دار الكتب العلمية ـــ بيروت ٢٠٠٦م ـــ ١٤٢٧هـــ.
- الإعجاز البلاغي: ((دراسة تحليلية لتراث أهل العلم)): الدكتور محمد محمد أبو موسى (ط ١) مطابع المختار الاسلامي ـــ مصر ١٤٠٥هـــ/ ١٩٨٤م.
- إعجاز القرآن: لأبي بكر محمد الطيب الباقلاني، تحقيق: السّيد أحمد صقر، دار المعارف ـــ مصر ـــ القاهرة.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: تأليف مصطفى صادق الرافعي (ط ٦) مطبعة الاستقامة ـــ القاهرة، ١٣٧٥هـــ ـــ ١٩٥٦م.
- *ايجازالبيان في سور القرآن: محمد علي الصّابوني (ط ٢) مكتبة الغزالي ـــ د. ت.
- البرهان في علوم القرآن: للامام محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (ط١) دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦هـــ ـــ ١٩٥٧م.
- *بصائرذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز /لمجد الدين الفيروز آبادى/المكتبة العلمية بيروت ـــ
- التفسير الكبير المسمّى (مفاتيح الغيب) للامام فخر الدين الرّازي (محمد بن عمر بن الحسن ت ٦٠٦هـــ) (ط٣) مطبعة مكتب الإعلام الاسلامي ـــ طهران ١٤١١ . هـــ . ق.

- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للامام جار الله الزمخشري وبحواشيه أربعة كتب، رتّبه وضبطه: محمد عبد السلام شاهين (ط ٣) دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن: تصنيف الشّريف الرضي، حققه وقدّم له وصنع فهارسه محمد عبد الغني حسن (ط٢) دار الأضواء ـ بيروت لبنان ـ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- تناسق الدرّر في تناسب السور: للحافظ جلال الدين السيوطي وبضمنه كتاب (أسرار ترتيب القرآن) دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا (ط١) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي (ط٢) مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٥م.
- جواهر القرآن ودرره: لحجّة الاسلام الامام الغزالي (ط٢) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦هـ.
- الحروف المقطّعة في القرآن الكريم: (بحث): عبد الجبار حمد حسين، مجلّة كلية الآداب/ جامعة البصرة ـ العدد ١٦ لسنة ١٩٨٠م.
- دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: محمد علي الرضائي الأصفهاني، تعريب: قاسم البيضاني (ط١) مطبعة صدف/ قم: المركز العالمي للدراسات الاسلامية ١٤٢٦ق/ ١٣٨٣ش.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني: أبو الثناء شهاب الدين الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، المطبعة المنيرية ـ مصر/ ١٣٥٣هـ.
- في ظلال القرآن: بقلم سيّد قطب (ط١٠) دار الشروق للطباعة ـ القاهرة/ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١.
- الكاشف العلمي في التفسير: المهندس ضياء جواد العاملي (ط١) دار الحوراء للطباعة والنشر ـ بغداد ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
- كتاب أسرار البلاغة: للشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني/ قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر (ط١) مطبعة المدني. المؤسّسة السعوديّة بمصر/ ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
- اللّباب في علوم الكتاب: تأليف الامام المفسّر أبي حفص عمر بن علي الدمشقي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ، تحقيق وتعليق: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معّوض وكذلك شارك في تحقيقه برسالته الجامعية د. محمدّ سعد رمضان (ط١) المكتبة العلمية ـ لبنان ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- المرسل الرسول الرسالة: السّيد الشّهيد محمد باقر الصدر ـ دار التعارف ـ بيروت.
- معارف القرآن من خلال الحواميم السبع: تأليف آية الله جوادي آملي، ترجمة: دار الصفوة ـ (ط). ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥بيروت لبنان
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: للامام جلال الدين السّيوطي، ضبطه وصحّحه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين (ط١) دار الكتب العلمية: بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- المعجم الفلسفي: الدّكتور جميل صليبا (ط١)/ أوفسيت مطبعة سليمان زادة ـ قم ١٣٨٥.
- من أسرار التعبير القرآني (دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب): الدّكتور محمّد محمّد أبوموسى (ط٢) مكتبة وهبة ـ مصر ١٤١٦هـ. ١٩٩٦م.
- الميزان في تفسير القرآن: للعلاّمة السّيد محمد حسين الطباطبائي (ط١) المحقّقة ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

- نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور: للامام برهان الدين أبي الحسن البقاعي، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي (ط٢) دار الكتب العلميّة ــ بيروت ٢٠٠٣م ١٤٢٤هـ
- النّظمُ الفنّي في القرآن: تأليف عبد المتعال الصعيدي (ط١) المطبعة النموذجية ــ مصر.